



مهما بلغت المأساة والآلام ذروتها، وأغلقت الأبواب أفالها، فالباب العظيم لم يغلق، باب الرجاء والصلة بالله اللطيف الحكيم الرحيم، سبحانه ربنا أرشدتنا في المصائب ماذا نفعل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّابِرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة:153].

إنَّ الصَّابِرَ وَالصَّلَاةَ هُمَا الْعَلَاجَانَ لِكُلِّ مَحْزُونٍ مَهْمَا بَلَغَ مِنْ أَمْرٍ، وَلِيَكُنْ عَلَى يَقِينٍ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَنْ يَضِيعَ مِنْ رَجَاهِهِمَا.

وَهَذِهِ وَقَفَاتٌ سَرِيعَةٌ مَعَ الصَّابِرِ أَمَّا الصَّلَاةُ عِمْدُ الدِّينِ فَلَعْلَهُ يَكُونُ فِي وَقْفَةٍ أُخْرَى بِإِذْنِ اللَّهِ.

من الأسباب المعينة على الصبر على البلاء ما ذكره ابن القيم رحمه الله في "طريق الهجرتين":

- ١ معرفة الجزاء والثواب.
- ٢ شهود تكثير السينات.
- ٣ شهود القدر السابق الجاري لها، وأنها مقدرة في أُم الكتاب قبل أن تخلق.
- ٤ شهوده حق الله تعالى عليه في تلك البلوى، فلو تأمل الشخص كم تمنع بنعمه البصر والسمع فقط ثم قاسها بمصيبةه لوجد أن هاتين النعمتين رجحتا، فكيف بباقي النعم الأخرى.
- ٥ شهود تربتها عليه بذنبه {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ} [الشورى: 30].

٦ _ أن يعلم أن هذه المصيبة هي دواء نافع ساقه إليه الطبيب العليم بمصلحته، فليصبر على تجرعه، ولا يتقيأه بتسخته وشکواه فيذهب نفعه باطلا.

٧ _ أن يعلم أن في عقبى هذا الدواء من الشفاء والعافية وزوال الألم ما لم تحصل بدونه، فإذا طالعت نفسه كراهية هذا الدواء ومرارته فلينظر إلى عاقبته وحسن تأثيره.

٨ _ أن يعلم أن المصيبة ما جاءت لتهلكه وتقتله وإنما لتمتنع صبره وتبليه، فيتبين حينئذ هل يصلح لاستخدامه وجعله من أوليائه وحزبه.

٩ _ أن يعلم أن الله يربى عبده على السراء والضراء والنعمه والبلاء فيستخرج منه عبوديته في جميع الأحوال؛ فإن العبد الحق من قام بعبيودية الله على اختلاف الأحوال، وأما عبد السراء والعافية الذي يعبد الله على حرف فإن أصحابه خير اطمأن به، وإن أصحابه فتنه انقلب على وجهه فليس من عبيده الذين اختارهم لعبيوديته.

١٠ _ علمه بأن الله قد ارتضاها له واختارها وقسمها، وأن العبودية تقتضي رضاه بما رضي له به سيده وموله. رأيت طفلا عمره يقارب الثانية أو الثالثة عشرة من عمره وقد قطعت كفاه بسبب لغم أمسكه عندما كان يلعب بالكرة مع أصدقائه ووالله لقد تقطع قلبي أسى وحزنا على مصيبيته سأله مقدم البرنامج عن شعوره بلا يدين؟ فهل تدرؤن بماذا أجاب؟

قال: سبقوني إلى الجنة، يعني يديه، وكأني حين سمعته تذكرت جعفر رضي الله عنه.

قال شريح رحمه الله: "إني لأصاب بال المصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات، أحمد إذ لم يكن أعظم منها، وأحمد إذ رزقني الصبر عليها، وأحمد إذ وفقني للاسترجاع لما أرجو من الثواب، وأحمد إذ لم يجعلها في ديني".

كل المصائب والجرحات والآلام التي ألمت بالشعب السوري لا تقاس أبداً بمصيبة الدين، فالقتلى نحسبهم عند الله شهداء، والمرضى والجرحى تكفي للسيئات ورفعه الدرجات.

أخي الحزين . . أبشر بوعد الله {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}.

وأبشر {إِنَّمَا يُؤْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ}.

وأبشر بعجب الله منك: (عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أُمْرَهُ كُلُّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لَأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ: إِنَّ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنَّ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ) رواه مسلم.

وأبشر بما تجزى يوم القيمة (يَوْمُ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَنَّ لُحُومَهُمْ قَدْ قُرِضَتْ بِالْمَقَارِيضِ لِمَا يَرَوْنَهُ لَأَهْلِ الْبَلَاءِ مِنْ جَزِيلِ الثَّوَابِ) رواه الترمذى.

وأبشر بعلو المنزلة {إِنَّ الْعَبْدَ لَيَكُونُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ الْمَنْزِلَةَ الرَّفِيعَةَ ، مَا يَنَالُهَا بِعَمَلٍ ، فَمَا يَزَالُ اللَّهُ يَبْتَلِيهِ بِمَا يَكْرُهُ ، حَتَّى يُلْفَغَهُ إِلَيْهَا} أخرجه أبو يعلى في مسنده.

وأبشر بحب الله الرحيم لك (إِذَا أَحَبَ اللَّهُ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ فَمَنْ صَبَرَ فَلَهُ الصَّبَرُ وَمَنْ جَزَعَ فَلَهُ الْجَزَعُ) رواه أحمد. فكل من تصبر واحتسب انقلبت محنته إلى منحة، وليس ثوب البشر والفرحة في الدنيا والآخرة.